إغماض العينين .. حينما يدوّن الألم العراقي قصته

احمد ثامر جهاد

إن أشد ما يجعل تجربة كاتب ما وثيقة بليغة عن وقائع مختلفة يعشيها ويسعى إلى تمثلها فيما يكتب هو التطور البائن للأشكال الفنية التي يقترحها لمضامينه عبر مسيرة إبداعه التي تصور في نهاية الأمر أشكالا متعددة لموضوع أثير واحد.

إذا ما صح ذلك فإن القصة الجيدة ذات التقاليد المنضبطة التي يكتبها لؤي حمزة عباس استطاعت تخطي ثنائية قديمة حكمت القصة العراقية لعقود وبددت طاقة كتابها في المراوحة أو التوزع بين كتابة نص يتوسل استنساخ الواقع بفجاجته المعهودة أو الانجرار وراء سراب تلغيزه غير المفكر به، مع الاحتفاظ بقيمة التجارب الفنية العديدة التي أنتجت الكثير من الروائع وهي تختط لنفسها طريقاً خاصاً ينشد الوصول إلى حدائق القراء.

قد يطرح ذلك سؤالا من داخل تجربة القاص لؤي حمزة ذاتها: ما الذي جعل نصوصه المتأخرة أقرب إلى توازن المعادلة الصعبة التي تحقق للقصة حضورها الفني مثلما تسوغ وجودها وانتماءها إلى الواقع الذي تتأمل دقائقه وتضئ عوالمه؟

ربما نجد أن ما يصح على الحياة العراقية كونها صيغة مركبة وعصية على التناول الأحادي يصح على شتى ضروب الثقافة التي تعبّر عن تلك الحياة. فمأساة اليوم أسطورية بما يكفي لنسردها بلسان واضح يعيد إنتاجها حينما يكتب ألمها ويتقن صناعتها. وبحس أقرب إلى الاستثمار المنهجي لتناقضات الحياة العراقية نسجت هذه القصص إجاباتها المحتملة لكنايات المعطى الواقعي في صيغته الجمالية.

سنرى هنا أن الأحاسيس والذكريات والمخاوف والأمنيات غير المتحققة هي الثيمات الكبرى التي ينشغل بها لؤي حمزة ويصنع منها عالمه القصصي، عالمنا المرير والموجع. عالم رمادي كأننا نعرفه من قبل، ترتجف فيه الأصابع الباردة وبقسوته تتفسخ الجثث المرمية ويتقشر على تخومه طلاء الجدران، الأصوات تنادي هي الأخرى ولا أحد يسمع، وغرف البيت فارغة موحشة، وفي البوم صور العائلة يكتشف الكائن الصامت وحدته. إنها الحكايات الأليمة التي تروى مصائر أبطالها بلغة مقتصدة موسومة بالموت والأمل الخاطف..

ورغم كشفها الصريح أحيانا تراهن هذه النصوص على بلاغة إشاراتها ورموزها بشكل يدفع متلقيها إلى التفكير بالأجزاء الغائبة تحت وقع الحفز الدائم لسردها الزاخر بتفاصيل حياتية مرسومة بعناية.

هل يعد الالتفات إلى التاريخ المدون في أولى صفحات الكتاب الذي يحصر قصص إغماض العينين بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٧ مؤشرا استهلاليا كافيا بحد ذاته لتهيئة القارئ وجدانيا للدخول في بانوراما هذه النصوص بما تحمله من براهين عن الألم العراقي المشفوع بالإخفاق واليأس ، فبين هذين التاريخين فتحت بوابة الأحلام العراقية لأجل قصير، قبل ان يجهز عليها ماراثون العنف حلما تلو الآخر. يمكننا القول ان قصص إغماض العينين اجتهدت لتكتب فصلا من فصول الانكسار العراقي يعتمد انفعالا فنيا مع الزمن وتطابقا حسيا مع الفجيعة.

يبدو لي ان شخصيات هذه القصص لا تملك خيارا وجوديا في مواصلة حياتها أو الاتصال بالآخرين، وهي تستسلم في مجرى جسامة الأحداث وغرابتها إلى حقيقة كونها كائنات وحيدة ومعزولة بشكل مخيف عما حولها.. ولنتذكر هاهنا ان الاتصال في أولى قصص المجموعة بدلالته الإيحائية يصبح نافذة مرعبة لتلقي أخبار الموت متمثلا بحادثة مقتل الجار الذي يسلمنا إلى فراغ موحش.

هل بوسعنا ان نكون أكثر اطمئنانا في حياة مريضة فقدت شروطها الإنسانية لمجرد استعادة صور المكان الحميم الذي ألفناه والأشياء العزيزة التي خبرتها طفولتنا؟ (في المرات القليلة التي شاركهم فيها حديثهم لم يمنع رغبته في إغماض عينيه،كأنما ليحس انسحاب المواضيع من حوله بالسهولة التي ينسحب العالم فيها كل صباح..عن قصة إغماض العينين).

سيبدو من المحزن ان الموت المخاتل ما زال قادرا على الاستئثار بكل البطولات المخزية في الحياة كما في الأدب . ومن سواه يسلب من هذه القصص حيوات أناسها البسطاء والمجهولين، ويضع القاتل والضحية وجها لوجه في مشهد واحد لا مفر فيه من إغماض العينين عما يجري، موت غامض يحتفي باستسلامنا قدّر له ان يترك القارئ في حيرة الأسئلة التي لا تني تتوالد دوما. هل بات إغماض العينين ذريعتنا الأخيرة لدرء مخاطر شتى تصنع حياتنا الراهنة؟

من يتذكر جموع الموتى الذين أخذهم قطار المعقل إلى مدن كئيبة في حروب القرن الماضي، وهم يطلّون من نوافذ (على دراجة في الليل.١٩٩٧) مجموعة الكاتب الأولى؟ أليسوا هم أنفسهم الذين نثرتهم السكاكين الباردة على الطرق المؤدية إلى بغداد وسواها؟

ان النصوص التي تعيد بمهارتها رواية الواقع لتصنع منه واقعا معدلا،اشد تأثيرا واقل غموضا، ليست في حقيقتها صورة للواقع الذي نعرفه حتى وان حافظت على أكثر مشاغلنا وهمومنا أهمية وفرادة، ذلك انها ببساطة تستطيع إثارة معنى آخر فينا بما تنشده من عالم أفضل يحتكم لرؤيتها الإنسانية ليس إلا. فالقصة الجيدة هي الحقيقة الأوحد وقد أصبحت شيئا آخر لا يقبل الاندثار.

النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية

مازن لطيف

في محاولة الانخراط في عالم قيد التشكل يرمي الكتاب الصادر حديثاً (النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية ـــ نحو كتابة عربية رقمية) لسعيد يقطين ، بشكل اساسي الى الدعوة إلى التسلح بشيئين متضافرين هما : المعرفة العلمية والتكنلوجيا والقاسم المشترك بينهما هو العلم المؤسس على قاعدة معرفية وفلسفية ، ولطالما فرط مثقفونا بالعلم ذي البعد الانساني مركزين على علم خاص جدلي لأننا نرفض الوصف والتفسير، ونظل نحلم بالتغيير، لأننا لم نهتم بالعلم ..يهدف الكتاب إلى تأكيد دخول العرب العصر الرقمي والتلائم معه يتحقق معه عبر إنتاج « النص المترابط» وانتهاج الترابط النصي محوراً اساسياً في التفكير والعمل ، كما ان ممارسة «الترابط» لايمكنها ان تتحقق إلا بتجديد الكتابة العرابية من المقال الصحفي إلى الاطروحة الاكاديمية مروراً بكل انواع الخطاب التي تنتج في الادب والفن والاجتماع والاقتصاد والبحث العلمي.. يحاول سعيد يقطين في كتابه الوقوف عند الدلالة الجديدة لهذا النص الجديد وربطه بالوسيط الذي ادى الى تبلوره وبروزه منطلقاً من فكرة مؤداها انه اذا كان مفهوم النص وليد القرن العشرين، فإن هذا المفهوم الجديد الذي بدأ في الظهور منذ أواخر القرن الماضي والذي بدأ يحتل موقعاً خاصاً في الدراسات الادبية والانسانية في بدايات القرن الحادي والعشرين. يذكر يقطين ان المصطلحات المستخدمة في اللغة العربية هي : النص الفائق والنص المفرع والمتفرع ، والنص المتشعب، ويطرح يقطين ان آفاق النقد الادبي العربي رهينة بتحقيق مايلي :

١ـــ العمل الجاد على الرهانات الثلاثة ووضعها في نطاق التحول الرقمي.

٢ـــ توسيع مجال اهتمام الممارسة النقدية .

٣ـــ الانفتاح على تطوير المعرفة بأشكال تعبيرية توظف الصورة والصوت .وتناول يقطين الترابط النصي والخطاب الروائي العربي معتبراً ان أمام الرواية العربية تحدياً تكنولوجياً ماتزال لما تقتحمه بعد بما يليق من الجرأة والابداع برغم كون نظيراتها في العالم تعاملت مع الحاسوب كوسيط جديد للتواصل واستغل مجمل التقنيات التي يقدمها والبرامجيات التي انتجت خصيصاً لإنتاج نص روائي جديد ، ماتزال الرواية العرابية قاصرة عن التعالم مع هذا الوسيط الجديد .. ويرى يقطين انه كلما اعتمد الروائي « اللاخطية « في تقديم احداث القصة باعتماد تقنيات «التناوب» أو «التجاور» أو «تقطيع» المادة الحكائية الى شذرات وتوزيعها بصورة مركبة وفي مقاطع متباعدة ومتعدد في بناء القصة ، استدعى ذلك حضوراً ذهنياً اساسياً من لدن القارىء ، ليتمكن من إعادة لملمة عناصر القصة المشتتة والمتفرقة وتشكيلها في ذهنه ، ليصل الى استنتاج عالم منسجم ومتكامل ومن ثم ينتهي الى تكوين دلالة معينة للنص الحكائي .. وللكاتب رؤيته حيث يقول : يعمل المثقفون والكتاب العرب ، منذ بداية الوعي بالتأخر التاريخي ، على ردم هوة التفاوت الفكري والمعرفي بيبنا وبين العالم من حولنا ، وتتداخل عوالم شتى تسم عملية الردم هذه بسمات تقلل من مردودية التفاعل مع مايتحقق في العالم من حولنا .. وإن المساهمة العربية في التطور والتحول لايمكن ان تتم إلا بالمواكبة الاستيعاب الجيد والدقيق لمختلف انجازات الثقافة الغربية الانسانية التي سبقتنا في هذا المجال .. واعتبر يقطين ان القرن العشرين هو عصر « النص» .. النص باعتباره قيمة إنتاجية وتواصلية ، ولما كانت اللسانيات العلم الذي دشن به القرن العشرون وظلت سلطتها مهيمنة حتى الستينيات .. وان الحاسوب ليس تطويراً للآلة الكاتبة الكلاسيكية فقط او كما يتوهم البعض ، وهو يوقفهم عند كتابة النص وطباعته انه بعد ان يتصل بالكهرباء وبعد ذلك بالهاتف ، وصار جهازاً ولغة ، بل عالماً مركباً من العلامات النصية والصوتية والصورية الاساسية للنتاج والتلقي ، يصل الكاتب الى اننا صرنا مع التكنولوجيا الجديدة للإعلام والتواصل وهي تفرض الآن نفسها على عملية الكتابة نتحدث عن نمط جديد من الكتابة هو مابات يعرف ب» الكتابة الرقمية « لكن بعض المواقف المتسرعة ترى ان هذه الكتابة لأنها وليد التكنولوجيا غير ذات قيمة وان الكتابة بالقلم اهم ، والتعامل مع الكتاب افضل .. ويبحث يقطين عن تنوع أشكال التعبير الفني بواسطة اللغة بالاستفادة من أشكال تعبيرية غير لغوية ، وتم تكييف اللغة لتتلاءم معها أو تدمجها في بنيتها الخاصة ، فبواسطة اللغة مارس الانسان الموسيقى والرسم والتصوير والمعمار لكن مع ظهور الصورة واحتلالها موقعاً مهماً في حياتنا صار الكل يتحدث عن عصر الصورة الذي بدأ يأخذ مكانة الكلمة ويخطف بريقها تحت تأثير توظيف الوسائط المتعددة والوسائط المترابطة وشرع بغزو المجالات المختلفة في العلام والتواصل.

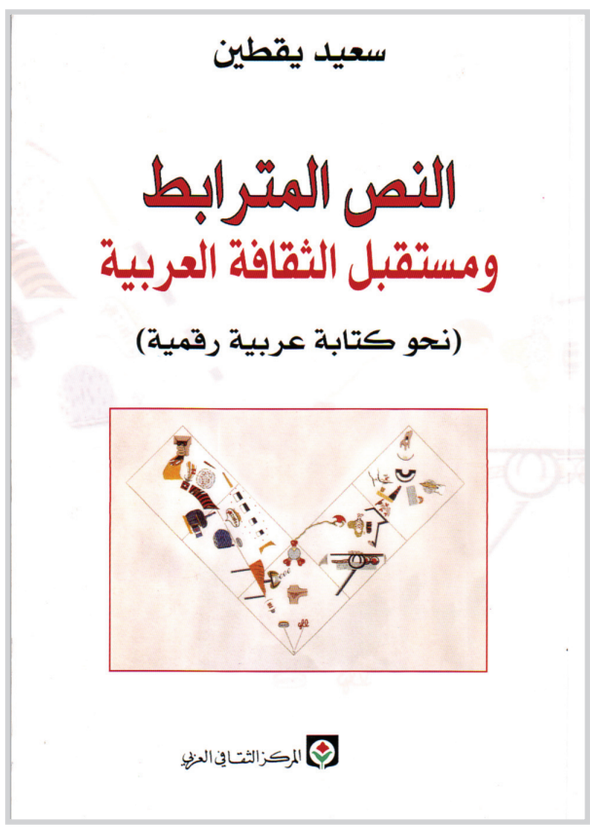

إشكالية العنف

المدى الثقافي

في محاولة إعادة إرساء الأمن الاجتماعي والمساهة في إعادة بناء النسيج الاجتماعي ، وهي مساهمة أولية مرجعية لتأمين الاستقرار النفسي ولتحقيق التقدم صدر كتاب (إشكالية العنف ـــ العنف المشرع والعنف المدان) تأليف كل من د.رجاء مكي و د. سامي عجم عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر وقد انطلق الكتاب من فكرتين بديهيتين هما ١. أن العنف المجتمعي الذي يصدر بين الجماعات ومن جماعة لأخرى بشقيه المحلي والعالمي لابد من أن يؤثر في العنف الشخصي بشكل مباشر، أن العنف الذي يخرج من الذات (الفرد) تجاه الآخر، وحدوده الفاصلة هي حدود هشة ، وبالتالي فإن العنف هو مدان بأغلب حالاته مع فصل مابين الفكر والممارسة ٢. أن العنف المشرع للدفاع عن الذات ، يحمل إشكالية مقولتي العولمة والديمقراطية (الارهاب ايضاً....) وهو وإن كان لرد الغبن والدفاع عن الذات واستبعاد المذلة فإنه عنف لايقتصر على الشخصي بل هو عنف متأت من الاجتماعي وعائد اليه ... ويطرح الباحثان فرضيتهما التي اعتمداها في البحث التي تعتبر أن منشأ العنف الحالي وإن بدأ بالاطار الشخصي والمجتمعي ، فهو يتجاوزها ويطال قضايها ومشكلات لها طابع العمومية والشمول الكوني وأنظمته والهيمنة عليه ، وهو مايسمى بللاوعي الجمعي والمخدر ، وتكون النتيجة بتداخل هذه المستويات وخلط الاوراق والاوضاع وإعطاء المبررات للتعميم وعدم التمييز في مواجهتها .. تنطلق إشكالية الكتاب من الحدود التي تفصل بين أشكال العنف والنتائج الحقيقية التي يفرزها تداخل تلك الحدود على مستوى التبعات والمسؤولية ومعالجة التداعيات الناجمة عن انتشار وتغلغل العنف ويرى الباحثان ان يتم التمييز بين ثلاثة مستويات من ظاهرات التمرد والرفض بسلوك عنفي تتفاوت وتختلف من حيث منشؤها ودوافعها:

ـــ المستوى الأول للعنف وهو ناجم من اختلال مرضي في قوى ونوازع الفرد تبلورت خلال تاريخه الشخصي.

ـــ المستوى الثاني للعنف المتشكل كردة فعل حيال المجتمع ومؤسساته تصادمت فيها قناعات ورغبات ومصالح الفرد الذاتية مع اتجاهات المجتمع وسياسته ، فهي تمثل تقاطع النفسي الخاص مع المجتمعي العام.

ـــ المستوى الثالث للعنف هو العنف الممارس لمواجهة مخططات وسياسات تهدف إلى السيطرة على العالم والتحكم بالعلاقات الدولية .. وعن أنواع العنف يرى الباحثان ان العنف يصبح قوة كبيرة وبدائية يفرضها فردٌ على آخر، وهي قوة يمكن ان تؤدي إلى التخجيل أو / أما ألى الرعب ويمكن ان نجدها في معظم حالات المرض النفسي سواء كفعل أساسي أو كنتيجة تلقائية .. وعليه يرى الباحثان ان العنف المنزلي أو الاسري هو « كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل أحد أفراد العائلة ، بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليه» أما أنواع العنف الاسري فهي متعددة منها : العنف الزوجي ، سوء المعاملة أو الاهمال للاطفال وكبار السن ، استغلال الاطفال خاصة الإستغلال الجنسي ،(إغتصاب ـــ تحرش جنسي ـــ البغاء ببعض انواعه) ويأخذ هذا العنف اشكالاً اخرى .. وهناك العنف الذي ترتكبه المؤسسات في الدولة والقوانين (جرائم الشرف) ولاإنتاج (من الناحية الاقتصادية : تدني أجور النساء أو الإستيلاء على نقودها وما تجنيه أو تمتلكه الخ .. ويؤكد الباحثان ان التربية على الثقافة ضد العنف بشكل عام هي فن قائم بحد ذاته : فن كظم الغيظ ـــ فن استخدام لغة العقل والمعرفة والمنطق ـــ فن الحوار وقبول الاخر .. ويصل الباحثان الى ان المجتمع الصناعي المعاصر برغم تطوره الحقوقي والاجتماعي يعاني امراضاً متنوعة، القلق، الخوف من الاحاسيس العميقة، الوحدة،قلة الفرح، هي كلها اعراض نتيجة العنف الذي اعتلى بأنواعه السدة المركزية التي كان يشغلها القمع الجنسي في زمن «فرويد».

حصاد المطابع

اللوح الأزرق

«اللوح الأزرق» الصادرة في نسختها العربيّة عن «دار الجمل» (تعريب آدم فتحي) للروائي الفرنسي جيلبير سينويه ١٩٤٧ وتدور أحداث «اللوح الأزرق» في إسبانيا، في زمن محاكم التفتيش. وتحكي عن التسامح وحوار الأديان، كشرط أساسي لبناء الحضارة البشريّة. رواية الفرنسي جيلبير سينويه تذكّر بـ«شيفرة دافنشي» لدان براون

الزمان والسرد

يشكل كتاب «الزمان والسرد» واحداً من أهم الأعمال الفلسفية التي صدرت في أواخر القرن العشرين، حتى لقد وصفه المنظر التاريخي «هيدن وايت» بأنه أهم عملية تأليف بين النظرية الأدبية والنظرية التاريخية أنتجت في قرننا هذا. وارتأى باحثون آخرون أنه يشكل قمة من قمم الفلسفة الغربية يضفي فيها «ريكور» دماً ولحم.

العنف القانوني ضد المرأة في لبنان

يشكل العنف ضد النساء انتهاكاً للكرامة الإنسانية وتهديداً لسلامة الأسرة واستقرارها وعائقاً أمام نمو المجتمع... ويصبح العنف أكثر فتكاً عندما يمارس باسم القانون، هذا هو موضوع كتاب (العنف القانوني ضد المراة) الصادر عن دار الفارابي لمجموعة من المؤلفين .

سيكولوجية القضاء

يتألف هذا الكتاب من فصل تمهيدى وثمانية فصول تالية تعرف بالمفاهيم والمصطلحات، و بالعوامل النفسية والعقلية كأسباب للجريمة، وكذلك رؤية نقدية لنظرية لمبروزو فى تفسير السلوك، وعن شهادة الشهود فى القضايا الجنائية والمدنية.